تعظيم المتصوفة للأئمة الغالين:

الصــوفية لا يَعْــدلون بالمتصــوفة أحــدًا، يقــول القشيري: "هم الغياث للخلق" وهذا الوصف بالغياث لا يليق إلا بالله تعالى ، و أئمة التصوف السني يعظمون أئمة التصوف الفلسفي .

ألّف الطوسي كتابه (اللمع) من أجل بيان حقيقة الطريقة، وتنقيتها من الأفكار الدخيلة، ومنها أفكار الحلول والاتحاد، لكنه بعد هذا الفصل عقد فصلًا آخر ينقضه، أورد فيه ما جرى على ألسنة كبار الصوفية من شَطَحَات كُفرية، وأخذ يبحث لها عن مخارج وتأويلات ليدرأ عنهم.

إذا كان هذا هو موقف
الصوفية من أرباب الانحراف،
إذن ما حقيقة شكواهم بوجود
الفكر المنحرف؟

الجواب: لقد كانوا يشتكون من انحراف مفهوم التصوف في الزهد والفقر والمجاهدة إلى الترف والراحة واتخاذ التصوف سُلّمًا لغايات دنيوية، بدليل اشتهار المتصوفة المتأخرين بكثرة الأكل ولين العيش.

التصوف بين الفكرة والمنتسبين:

هناك من قسّم التصوف إلى قسمين: معتدل وغال، ومنهم من أنكر هذه القسمة ولا يرى التصوف إلا وجهًا واحدًا غاليًا فلسفيًا.

٣

حقيقة الخلاف:

الفريق الأول: جعل التصوف على قسمين، نظراً منه إلى الأشخاص، فمنهم المعتدل ومنهم الفيلسوف الغالي، وهو كذلك.

الفريق الثاني: ذهب إلى إنكار القسمة نظراً منه إلى الفكرة.

وفـــي هـــذه الحـــال كلَـــا الفـريقين مُصـيب: لاخـتلاف محـل النـزاع: وهـو النظـر إلـى الأشخاص والنظر إلى الفكرة.

أما لو اتّحد محل النزاع: فغير صحيح، أي لو كان الحكم مبنيًا على أساس النظر إلى الأشخاص فلا يصح القول بأن التصوف وجه واحد لا قسمة فيه، لأن الواقع يقرر وجود الأشخاص المعتدلين والغالين.

ولو كان الحكم مبنيًا على أساس النظر إلى الفكرة، فلا يصح القول أن التصوف على قسمين: غال ومعتدل، لأنه يستحيل أن تنقسم الفكرة في ذاتها: معتدلة، وغالية.. سنية، وفلسفية ؛ فهذا القول يهدم نفسه بنفسه.

والمشهور المتفق عليه: أن التصوف فكرة واحدة لها قواعد وأصول معروفة، من تحقق بها فهو متصوف على الحقيقة ، ومن لم يتحقق بها وكان ممتثلاً لبعض فروعها فنسبته إلى التصوف من باب التجوز في الإطلاق .

وبذلك يبطل أن تجمع بين السنة والفلسفة، فهي إما أن تكون سنية أو فلسفية، أما أن تكون كلتيهما فباطل، والسنة تناقض الفلسفة أصلًا، لأنهما ديانتان مختلفتان: فالسنة دين محمد صلى الله عليه وسلم، والفلسفة دين الوثنيين عبّاد الأصنام من حكماء الهند والفرس واليونان.

الصحابة والتصوف:

إدراج الصحابة رضوان الله عليهم في جملة المتصوفة لم يكن من حيث المصطلح فهو متأخر، إنما من حيث ما كان عليه الصحابة رضوان الله عليهم من زهد في الدنيا، هذه الدعوى لا تصح إلا إذا ثبت: أن التصوف هو الزهد والفقر، وإلا فهي باطلة.